الجهاد بين مقدماته ونتائجه

خطبة الجمعة للدكتور محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2009/1/2م

هل مرَّ على عالمنا الإسلامي مثل هذه الحالة التي يتبلد فيها الحسّ!

هل مرَّ على أمتنا الإسلامية لحظة من لحظاتها، تجعل الأقوال فيها بديلاً عن الأفعال!

هل مرَّ على أمتنا الإسلامية وقت يعاني فيه أبناء الأمة من الخنوع والذل مثل ما يعانون اليوم!

لابد أن نكون صريحين في مثل هذه اللحظات، فالرائد لا يكذب أهله، والوقت ليس وقت مجاملات.

والعالم الإسلامي يعيش حالةً من الضياع والحيرة، ويتلفت يمنة ويسرى ليجد مخرجاً، لكنه يعاني من شتات فكري، وحالة انفعالية يحار معها في أي طريق يسلك، وإلى أي اتجاه يتجه؟

نحن اليوم نرى عدواً متوحشاً مخادعاً كاذباً... يؤكد بسلوكياته ما وصفه به القرآن توصيفا دقيقًا من الغدر والقتل والكذب والإيذاء...

والمشكلة في هذه الحالة باختصار أيها الأخوة يا أبناء الأمة الإسلامية، ما هي إلا مشكلة تركٍ للجهاد، فحين تُرك الجهاد الذي هو فرض من فرائض الإسلام أعلى النبي صلى الله عليه وسلم من شأنه وجعله ذروة سَنَام أمر الأمة وقع بنا ما وقع.

نذكر فرض الصلاة، ونذكر فرض الزكاة، ونحتفل بالحج، ونقيم الموائد في رمضان أما الفريضة التي سماها النبي صلى الله عليه وسلم ذروة السَنَام فقد غابت عنّا.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ كما يروي الترمذي في سننه: (ألا أدُلُّكَ على أبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ (أي يحفظ جوارحك من الوقوع في المحرمات)وَالصَّدَقَةُ تُطْفِيءُ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِيءُ المَاءُ النارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ، .. ثم قال صلى الله عليه وسلم : ألا أُخْبِرُكَ برأسِ الأمْرِ وَعمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنامِهِ؟ (وتعرفون أن سنام الجمل هو أعلى ما في ظهره) قال معاذ: قلت: بلى يا رسول اللّه! قال: رأسُ الأمْرِ الإِسْلامُ (إما الإسلام وإما لا إسلام إما إسلام، وإما كفر، إنه الانتماء) وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ (فخيمة الدين تسقط حين تسقط الصلاة)وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهادُ.. (فأعلى ما في الإسلام، وأفضل ما في الإسلام: الجهاد).

(وفي رواية رواها الطبراني:وذِروة سنامه الجهاد، لا يناله إلا أفضلهم) وفي رواية: (إلا أفضلهم ديناً). الحديث

فالأفضل ديناً لا يفرِّط في هذه الفريضة.

قال العلماء: فهو أعلى أنواع العبادات، لأن ظهور الحق به، وحين يغيب يعلو الباطل، وحين يوجد يعلو الحق.

وحتى لا يختلط الأمر فيُظنّ أن كل قتال هو من أجل الله، وأنه أعلى العبادات، قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: "لا يكلم أحد في سبيل الله" أي لا يجرح، ولم يشترط أن يقتل، إنما اكتفى في هذا الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم: لا يكلم، أي لا يجرح، "والله أعلم بمن يكلم في سبيله"

انتبهوا أيها الإخوة، يقول صلى الله عليه وسلم: " لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً (أي يتفجر دمه يوم القيامة ليكون شاهداً له بمنـــزلته عند الله) اللون لون دم، والريح ريح المسك"

والشاهد في هذا الحديث الذي أردت إيراده قوله صلى الله عليه وسلم: "والله أعلم بمن يكلم في سبيله" فما كُلُّ من يُجرح، يُجرح في سبيل الله، فالقضية قضية مضبوطة، وكما أن الصلاة عبادة منضبطة، لها أركانها ولها شروطها ولها مفسِداتها، فكذلك عبادة الجهاد التي كاد المسلمون أن ينسوها وأن ينسوا فريضتها، وأن ينسوا أركانها، وأن ينسوا شرائطها، حتى أصبحت من الغائب عن المجالس، التي تعرف بمجالس الصالحين.

وقد كنت قلت إن مفهوم الصلاة حلَّ محلَّ المفهومات الأخرى العملية، فالصالح في العرف الجديد من يكثر الصلاة، والصالح من يكثر الصيام، أما المعاملات، وأما الجهاد فلا تكاد تسمع له ذكراً.

في هذا الوقت العصيب الذي يعيش فيه العالم الإسلامي زلزالاً كبيراً، حيث المئات والألوف يُجرحون ويقتلون أمام مرأى العالم في غزة على يد أبناء صهيون، ولا يملك المسلمون في العالم إلا الصياح، والجهاد نسي منذ زمن، وحجِّرَ عليه، فقد أشرت على الإخوة وقلت: اقرؤوا في كتاب الله تبارك وتعالى سورة الجهاد، واجعلوها وردكم وهي سورة الأنفال، وأتمنى على الشباب أن يحفظوا هذه السورة.

السلطان الفاتح الذي فتح القسطنطينية، لم يقبل في جيشه جندياً واحداً لا يحفظ سورة الأنفال، فأُبعد من الجيش من لا يحفظ سورة الأنفال، واعتبره كالذي يدخل إلى الصلاة من غير أن يحفظ سورة الفاتحة..

الذي يدخل إلى الجهاد من غير أن يحفظ سورة الأنفال، ومن غير أن يفهمها ومن غير أن يتدبرها لا يصلح للدخول في الجهاد، لذلك استبعده فاتح القسطنطينية من جيشه قبل المعركة.

ولماذا سورة الأنفال؟

إذا قرأنا مطلع السورة والآيات الأولى في هذه السورة، نجد معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم : "لا يكلم أحد في سبي الله والله أعلم من يكلم في سبيله"

فالله سبحانه وتعالى يُبين في مطلع السورة من هو الذي يكلم في سبيله، وهو باختصار، الذي يقاتل ولا يكون في قتاله مصلحة نفسانية أو شخصانية.

الذي يقاتل من أجل الله، ومن أجل إرضائه، ولا يكون في قتاله ذاك رغبة في أي نوع من أنواع الغنائم، فالأنفال: جمع نفَل، والنفَل: الغنيمة، أما النفْل بالتسكين: فهو الزيادة.

فالذي يريد جهاداً في سبيل الله ينبغي أن يكون إسقاط النظر إلى الغنيمة جزءا من مقاصده ومنطلقاته.

وهكذا قال سبحانه وتعالى في مطلع السورة { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ} [الأنفال: 1] أي ليس لكم منها شيء، فأسقطوا اعتبار الأنفال، وأسقطوا اعتبار المكاسب، وأسقطوا الرغبة في المصالح.

إذا أردتم الجهاد في سبيل الله، فلا يمكن أن تجاهدوا وأنتم راغبون في مصلحة أو غنيمة..

طالما وجدت الرغبة بالمصلحة في قلبك ، والطمع في المكاسب والغنيمة فلست مرشحاً للجهاد.

فعبّاد المصالح غير مرشحين للجهاد، أما عِبَادُ الله فهم المرشحون للجهاد.

وحين يصبح واقع أكثر الأمة، وواقع حكامها، الرغبة في المصالح، ويعضّون بأسنانهم على مصالحهم مُعرِضين عن المبادئ، ومُعرِضين عن الرغبة في الله، فكيف يمكن لفريضة الجهاد أن تبقى في الأمة.

{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ}[الأنفال: 1] فلا تلتفتوا إليها.

ثم تحدّث عن مقدمات الجهاد المعنوية، التي لا يستطيع الإنسان أن يدخل في الجهاد إلا بها، فذكر المقدمة الأولى التي هي:

1- التقوى{فَاتَّقُواْ اللّهَ} فالجهاد الذي لا يكون أصحابه في التقوى ساقط غير معتبر.

2- اجتماع القلوب وانتفاء الشحناء {وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ} والذين يوهمون العالم اليوم أن المقاتلين على أرض غزة في شحناء كاذبون يخترعون أكذوبة ليغطوا خيانتهم، فلا توجد على أرض غزة شحناء، والمقاومة الإسلامية متلاحمة في كل فصائلها، وفي كل انتماءاتها، أما الذين يتاجرون بالقضية فهم لا يعتبرون في معادلة الجهاد أصلاً، ولا يصلحون للجهاد أصلاً، وهم ساقطون اعتباراً، ولهذا نقول للذين يتاجرون بقضية الوحدة الوطنية الفلسطينية: اخرسوا، فالمجاهدون والمقاتلون متوحدون، أما الخونة فقد عزَلوا أنفسهم {لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ}.

القضية أصبحت واضحة، فهناك من يُباع ويشترى ويتلقى تعليماته من البيت الأبيض الأسود.

وهناك من توجه إلى الله وأحب الشهادة، ورغب في رضاء الله فلا يضيره بعد ذلك أن يتحقق له النصر، أو أن يكون عند الله شهيداً.

أبهجني أنني كنت أسمع في بعض التعليقات الإعلامية تهنئة لأهل غزة، وأنا أضم صوتي للمهنئين، وأقول: هنّأكم الله بثباتكم، وهنّأكم الله بإيمانكم، وهنأ الله شهدائكم بلقاء الله.

إذاً لا توجد في غزة شحناء، والشحناء هي عند الخونة الذين يختصمون فيما بينهم على الكعكة، أما المقاتلون فلا توجد بينهم الشحناء.

والقضية ليست قضية انتماء إلى حماس، أو الجهاد، أو فتح،... وقد امتاز الصادقون عن غيرهم، وهناك ممن ينتمي إلى فتح اليوم يقاتل على أرض المعركة في غزة ويتوجه بقلبه إلى الله.

3- وحدة أهل الإيمان { وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}[الأنفال: 1] وهو سر الوحدة، وهاهنا السياق يوجه إلى طاعة القيادة، حيث يلفت الانتباه إلى القائد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه كان قائد المعركة، فالسياقات ينبغي أن تُعرف فيها دلالاتها، فها هنا جاء قوله تعالى: {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ}ليعزز الوحدة، وليعزز الاجتماع وذلك حينما تكون الطاعة للقيادة المؤمنة، وهذه الطاعة في هذا

الموطن هي أعلى أنواع الطاعات، فالطاعة لله مطلوبة عموماً وعبّر عنها قوله تعالى {فَاتَّقُواْ اللّهَ} لكنه خصَّ في هذه الآية الطاعة للقيادة المؤمنة، وإذا لم توجد قيادة واحدة مؤمنة لا تُباع ولا تُشترى، لا يمكن أن يتحقق اجتماع لأهل الإيمان.

وبعد أن عدد الشروط الثلاثة الكبرىاشترط شرطاً رابعاً تتحقق به الثلاثة التي سبقته وهو:

4- الإيمان{إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}

ولما كانت دعوى الإيمان يمكن أن يدعيها كل إنسان، ذكر علامات الإيمان حتى لا تبقى الدعاوي ممكنة فقال:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ}إذا أردتم أن تعرفوا علامات الإيمان التي تتحقق بها الشروط الثلاثة المتقدمة، التي هي شرط الجهاد، فافهموا العلامات، وزنوا أنفسكم عليها:

العلامة الأولى: تعظيم الله عند ذكره{ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} إذاً: الماديون لا يصلحون لشروط الجهاد الثلاثة، وهذه الشروط الثلاثة لا يستطيع القيام بها وتحقيقها إلا أهل الإيمان الذين اشترى الله وحده نفوسهم وأموالهم، { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وما اشتري من الماديين وما اشترى من الخونة، اشترى من المؤمنين { اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: 111]فما علامات الإيمان:

{ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} وانتبهوا إلى السياق أيها الأخوة، ما قال" يذكرون الله، فذكر الله بالنسبة إليهم هو عين الجهاد، انتبهوا حتى لا تصرفوا الآيات إلى غير دلالتها { إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} إذا ذكر الله عظموه أما اشتغالهم السلوكي ووردهم فهو الجهاد، حتى لا يأتي صارف للمعنى فيقول: إنه يدعو إلى الذكر في هذه الحالة، فالذكر جاء في موطن آخر {إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ}[الأنفال: 45] والذكر مدعم للجهاد حينما تندرج في المجاهدين، لكن هذه علامات قبل أن تصبح مجاهداً، فإذا صرت مجاهداً وقُبلت في رتبة الجهاد وبدأت وشرعت في الجهاد، عند ذلك إذا لقيت فئة، فاثبت واذكر الله، لأن ذكر الله يثبتك على الجهاد.

العلامة الثانية : زيادة اليقين والإيمان عندما يسمع وعد الله في آياته، فالله سبحانه وتعالى وعد أحبابه بالنصر أو الشهادة، وعدهم بإحدى الحسنيين، فهو واثق بوعد الله {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} وما قال يتلون، فورد التلاوة هو لغيرهم أما وِردهم فإنه الجهاد{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} إذا سمعوا وعد الله في الآيات في النصر {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}[المجادلة: 21] ازدادوا يقينا، وازدادوا ثباتًا.

ألم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم داخل المدينة؛ والمدينة قد حفر من حولها الخندق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عن فتح فارس، ويتحدث فتح الشام، ويتحدث عن فتح اليمن.

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ}[آل عمران: 173]فالمؤمن لا يغير قناعاته ولا يقينه بالقرآن عند الزلزال، أما المنافق فإنه يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، خسر الدنيا والآخرة.

العلامة الثالثة: لا يستندون إلا إلى الله وحده { وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}لأنهم علموا أن مقاليد العباد هي بيد الله، وأن نواصي العباد هي بيد الله وحده لا بيد غيره.

ثم ذكر علامة رابعة فقال: {الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ } فهم رهبان الليل فرسان النهار، ولا يمكن أن يقاتل الذين لا يُصَلّون، ولا يمكن أن يقاتل الذين يمنعون الصلاة، ولا يمكن أن يقاتل الذين يضيِّقون على الناس في الصلاة.

ثم ذكر العلامة الخامسة: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[الأنفال: 3] فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للولد أمام أبيه الذي هو سبب وجوده المجازي: (أنت ومالك لأبيك) ألا تكون أمام تكون سبب وجودك الحقيقي ومسببه الذي هو الله، ألا تكون أنت ومالك لله؟

وبعد أن ذكر المقدمات والعلامات بدأ يذكر الجهاد مبتدأ بتوصيف جهاد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} [الأنفال: 5] حتى لا يكون بدء الجهاد إلا مع تحقق شروطه الشرعية، فالجهاد عبادة مضبوطة كما قلت ولا يمكن خروجك بالحق حتى تتحقق لك شروطه

وظروفه وبيئته، فالنبي صلى الله عليه وسلم أمضى وقتاً طويلاً في مكة و لم يبدأ بالجهاد، وبقي صلى الله عليه وسلم في مكة زمنا و لم يجاهد، ثم بقي مدة قصيرة في المدينة و لم يبدأ الجهاد مع أنه الحاكم والقائد { كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} قال السُدّي رحمه الله : هو خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر.

{ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} ونحن أمة نخرج إلى الجهاد حين تتحقق شروطه المعنوية والحسية {وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال: 5] لم يرتقوا بعد إلى مستوى محبة الجهاد، والتفاضل بين المؤمنين أمرٌ مقرر ومعلوم.

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الأنفال: 6] فتكثر الآراء ويكثر المنظرون ويكثر المعتذرون، ويكثر أصحاب الحُجج، هذا يقول عندي أسرة، وهذا يقول عندي تجارة، وهذا يقول عندي مسؤوليات،...

ألم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر؟

ألم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تجارات؟

ألم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاد؟

ألم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت؟

ألم يكن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه بساتين؟

لكن نداء الله دعاهم فلبوا، لأنهم عباد الله وليسوا عبّاد المصلحة.

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ} و هي ظاهرة تكثر في كل تجمع إسلامي ، ومن استقرأ تاريخ الجماعات الإسلامية يجد هذه الظاهرة موجودة في كل الجماعات الإسلامية ، ويرى من يجادل ويكثر الجدال{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} [الأنفال: 6-7] أي نريد التأييد من الله، ونريد نصرة الملائكة، لكن بشرط أن لا نؤذى، وأن لا نجرح، وأن لا نقتل ... نريد أن نبقي أسرتنا في حالة من الراحة، ونريد أن نكمل بقية حياتنا مع أولادنا ! يا هذا أكمل بقية حياتك في الجنة مع أولادك.

يا مسكين حرمت نفسك من أجل سنوات قليلة سعادةً أبدية وخلوداً في النعيم..

تتعلق بمتع قصيرة ولا تشتاق إلى الجنة ؟

كل واحد منّا قد وضع أحلاماً قد تتحقق في سنوات، وجعل مقاصده كلها متوجهة إلى هذه الحقبة القصيرة.

والذي يفرق المؤمن عن غيره أنه ينظر إلى أمل بعيد.. فالبعد الزمني عنده طويل، أما الماديون فإنهم ينحصرون في البعد القصير..

المؤمن إذا فكّر في المال تذكر الجنة، وإذا فكر في التجارة سمع قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الصف:10، 11] و تذكر الأولاد ذكر حياته الأسرية في الجنة.

{وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}[الأنفال:7]

لكن الله سبحانه يريد لكم الشوكة، ويريد لكم تمحيصاً، ويريد لكم زلزلة: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران:142] {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ}[البقرة:214]

تريدون أن يتخلص الذهب من شوائبه دون أن يدخل إلى النار؟

المقاتلون اليوم في غزة هم اشرف موجود على وجه الأرض، فهم أعلى الناس إخلاصاً، وهم أعلى الناس صدقاً، وهم أعلى الناس مراقبة لله، وهم أعلى الناس إيماناً ... لأن المحنة خلصتهم من الشوائب ونحن لا نريد التخلص من الشوائب.

نحن لا نتمنى لقاء العدو لكن العدو يلاقينا، وإذا لاقانا العدو ما بقي لنا حجة، فنحن أمة واحدة، يجب عليها نصرة أبنائها.

كذبوا علينا بالتقطيعات والتجزيئات، وقالوا: فلسطيني ولبناني وسوري وأردني... هذه أكذوبة الاستعمار المحتل التي صدّقناها واعتبرناها دستور حياتنا، فإذا أوذي فلسطيني أقول: سوري، ويقول الأردني: أنا أردني، ويقول المصري: أنا مصري...

ونحن في الأصل أمة واحدة، وجسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد.

بعد هذا التمحيص ذكر الله النتائج بعد المقدمات:

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} [الأنفال:7] مع تمحيص المؤمنين بدخولهم في ذات الشوكة سوف يحصل إحقاق الحق.

أنتم تبكون على ضياع الحق، وضياع الحقوق كالنساء، وتبكون كالنساء على استباحة الحُرمات، فإذا دخلتم في ذات الشوكة تتحقق النتيجة الأولى وهي: إحقاق الحق.

{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} لا بقوتكم.

أيها الناس انتبهوا: بكلماته، وهو الذي يقول للشيء {كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة:117] فالمهم أن تكون جاهزاً في استعدادك، وبعد ذلك يحق الله سبحانه وتعالى الحق بكلماته، فليست وظيفتك أن تحق الحق بكلماتك إنما كلمات الله تحق الحق. وأنت هات استعدادك الباطن والظاهر، والنتيجة ليست من شأنك.

النتيجة الثانية: {وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال:7]

الذين يعيثون اليوم في الأرض فساداً ويرتعد الحكام من قوتهم المجرمة التي توجّه من البيت الأسود..

لماذا لا تتذكرون أن البيت الأبيض الذي كان هرقل يمكث فيه في زمن أصحاب رسول الله صلى لله عليه وسلم هزته ثلّة قليلة مؤمنة.

وهزم هرقل وجيشه بعتاده وعدده.

كان السيف العربي يزن سبعمائة وخمسين غراما، أي أقل من كيلوا غرام واحد.

وكان السيف الروماني يزن بحدود تسعة عشر كيلوا غراما من الحديد، وكان الجندي الذي يحمل السيف بهذا الوزن مدرعًا مدججاً...

المعادلة هي هي... الدبابات التي تحاربها صواريخ صغيرة تصنع في البيوت...

لكن جيش هرقل الجبار والمدنية التي تقوم على الباطل تكسرت، وتحطمت أمام عَدَد قليل، وعُدد قليلة، وسألهم هرقل عن النتيجة وقال لهم: اصدقوني؟ فأجابوه: إنهم يحبون الموت كما نحب الحياة.

واليوم أكثر من مليون صهيوني يمكثون في الملاجئ، فهذه الثلة المجردة من السلاح ترعب هذا الكيان.

والآن وصل الكيان الصهيوني إلى وقت يكاد يستغيث فيه، وما هذه الجولات المكوكية التي تقوم بها المرأة القذرة المرشحة لرئاسة الوزراء في الكيان الصهيوني إلا من أجل ذلك.

نحن أمة لا تخاف إلا مقامَ ربها، فمقومات النصر موجودة في ديننا، لكن عدونا يحب الحياة ونحن نحب الحياة!!

{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال:7] فلا يعود لهم هيمنة على الأرض.

{لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ}[الأنفال:8]

هذه هي نتائج الجهاد أيها الإخوة.

واليوم يتساءل المسلمون كما قلت في المقدمة ما الذي أصاب قضية العالم الإسلامي؟

ولابد من وضع بعض اللمسات التشخيصية على الجرح:

أولاً: تم تقطيع الأمة إلى أقاليم وأعراق، من أجل أن تفقد الأمة وحدتها، وكان هذا الخطوة الأولى التي خطط لها أعداؤنا فصار الاعتداء على جزء من الأمة لا يعني الاعتداء عليها.

ودخل مفهوم سيادة الدولة الذي من أجله تنتقم الدولة وتحارب ليخدم ذلك التقطيع، فالاعتداء على غزة على سبيل المثال لا يهز سيادة الدولة السعودية، أو السورية، أو الأردنية، أو المصرية،... فسيادة الدولة يعني أن تكون الدولة بجيوشها حاميةً الحدود التي وضعها الاستعمار فيها، وطالما أن سيادة الدولة لا تتأثر، إذاً فالجيش قائم بمهمته.

وهذا المفهوم التي تبنته البلاد الإسلامية بعد أن تفرقت وانتهت وحدتها، جعل الاعتداء على جزء منها لا يعني الاعتداء على الأمة بأكملها.. في الماضي حرك المعتصم من أجل امرأة جيشه.

وأصبح رؤوس البلاد العربية والإسلامية وقادتها أذيالاً يستمدون الإذن من ذلك البيت الأسود، فاكتمل جزءٌ من الصورة البشعة.

ثانياً: فرّغت الجيوش في البلاد الإسلامية من مضمون الجهاد، وصارت الجيوش معدّة للدفاع عن سيادة الإقليم، وغابت مقاصد الجهاد ومقدمات الجهاد ونتائج الجهاد تماماً عن الجيوش التي تملك الأسلحة.

ثالثاً: انفصلت الشعوب التي تخرج اليوم شرقاً وغرباً، وتتحرق للجهاد، عن أدوات الجهاد...

انفصلت الشعوب الإسلامية مع أعدادها الكثيرة (أمة المليار ونصف) عن أدوات الجهاد.

في الماضي كان من مقومات شخصية الإنسان أن يكون لديه سلاح، فخُطط من أجل تجريد الشعوب من السلاح، فصارت هذه الشعوب من غير أسلحة...

وفُصلت الشعوب المؤيدة للجهاد، لفريضة الجهاد عن أدوات الجهاد، وصارت الجيوش التابعة للأنظمة والقادة تحب الاسترخاء وتكره الجهاد.

يتحدثون عن معبر رفح؟

الحدود من كل أطراف فلسطين مطلوبة، لا من معبر رفح فقط، ولو كان هناك واقع سليم لكانت كل الحدود من كل الجهات معابر للمجاهدين.

لكن اليوم تمارس الأنظمة العربية حماية لحدود فلسطين، من المجاهدين،خدمة للكيان الصهيوني...

حتى أولئك الذين يدّعون أنهم مقاومة لبنان، ولأكون صريحاً غاية الصراحة، وهم الذين يملكون كياناً مستقلاً، تحدى دولة لبنان، ويملكون الصواريخ، ويرفعون الرايات، نقول لهم: من الذي يمنعكم من هذه اللحظة الحاسمة أن توجهوا سلاحكم إلى العدو؟ وهل أصبح الجهاد بكلام وبخطب، لنتاجر بها....

إذاً هناك واقع يفرض على الشعوب المسلمة أن تتلمذ على شعب غزة..

يا أمة الإسلام، يا من يسمعنا شرقاً وغرباً، لا بد من التلمذة على شعب غزة..

شعب غزة اليوم أساتذتنا في عالمنا الإسلامي بعد هذه الخيانات الواضحة، والتخاذل ينبغي أن تدخل ثقافة المقاومة عن بعد، وينبغي أن تتعلم الشعوب من هذا الشعب...

لا مجرد أن تقطع بعض الدول علاقات دوبلماسية، هذه القضية التي أصبحت غاية الغايات مع الكيان الصهيوني، لا...

نحن نريد أن نقول كلمة لعلها تكون لله أولاً وتكون ثانياً معبرة عن إرادة الملايين والمليارات..

لا ينبغي في الأمة الإسلامية أن يُعترف بهذا الكيان أبداً، لا الآن ولا في الغد، هذا الكيان الذي درسنا في المدرسة أنه غير شرعي ويجب أن يمحى من الخارطة، بدأنا الآن نسمع أن على الكيان أن ينسحب إلى

حدود الـــ 67، نحن لا نرضى بهذا الكيان السرطاني الذي يمكن أن يتفجر بإيذائه وإجرامه في كل لحظة عدوانا وإيذاءا، لا نوافق لا الآن ولا في الغد..

لا نوافق في يوم من الأيام ولا توافق الشعوب المسلمة أبداً، ولو كلفتنا هذه الكلمة حياتنا لا نوافق على أن نكون يوماً من الأيام ممن يعقد علاقات دوبلماسية مع هذا الكيان.

نحن نوجه رسالة نقول فيها لقادتنا: هذه هي الفرصة المتاحة لكم فإما أن تضمنوا مصالحكم لوقت مؤقت، وإما أن تضمنوا شعوبكم إلى الأبد..

إما أن تضمنوا مصالحكم لوقت مؤقت جداً وبعد ذلك يكون السقوط وسخط الله والشعوب، وإما أن تلتحموا مع شعوبكم، وتعلنوها صريحة: ينبغي أن تُمسح هذه الأوبئة السرطانية الصهيونية التي من أجلها ترك السلطان العثماني رحمة الله عليه عبد الحميد منصب الخلافة، وعُزل عندما قدمت له أكياس الذهب ليبيع فلسطين، فقال: لا أبيعها.. لا أبيع المسجد الأقصى.. لا أبيع أرض فلسطين، من أجلها ترك خلافته، والخليفة منصب أكبر بكثير من منصب ملك أو رئيس أو أمير.

ألا يوجد حرّ يُسجل موقفاً في التاريخ، يلتحم مع شعبه، يجعل تحرير فلسطين كلها مقصوده دون التنازل عن شبر!!

هذا الاعتبار هو الذي قاد الكيان الصهيوني إلى الحرب مع غزة لأن شعب غزة، يرفض الاعتراف بالكيان الصهيوني، رفضاً قاطعاً.

ونحن نقول شعوبنا الإسلامية جاهزة من أجل أن تتحمل ما تحمّله شعب غزة، فنحن نحب الشهادة في سبيل الله، ونلتحم مع قادتنا في هذا الخيار، عندما يختار قادتنا المقاومة...

لا ينبغي أن يقولوا إننا نفتح على أنفسنا جبهة كبيرة، وستدخل أمريكا من أجل أن تضربنا وتدمر البنى التحتية والفوقية.

نقول: تحمل شعب غزة، ونحن نتحمل لأنهم أساتذة العالم الإسلامي اليوم.

إنها قضية تحتاج إلى اختيار، لا أظنه يكون صعباً على من توجه قلبه إلى الله.

لابد أيها الأخوة من إعداد معنوي أولاً.

هذه المقدمات التي ذكرتها تحتاج إلى جهد تربوي..

أيها الدعاة، أيها العلماء في كل مكان، لا تكتفوا بإصدار البيانات، فالبيانات لا تصنع أمة.

أصبحنا نستنكر الاستنكار، وأصبحنا نشجب الشجب، وأصبحنا نتقيأ من الشجب والتنديد والاستنكار.

كفى، إلى متى!! ركضاً إلى الله بغير زاد.

لا بد من إعداد معنوي تربوي صادق ليتخرج جيل يتعلق بالله لا بالمصالح.

جيل يفهم معنى التقوى وإصلاح ذات البين والطاعة.

هذا أولاً، وبعد ذلك لابد للشعوب الإسلامية شرقاً وغرباً أن تفكر في الثقافة الجديدة، ثقافة المقاومة التي نرى نتائجها على أرض غزة، وأرض العراق، وأرض أفغانستان، حيث تُدَك جيوش أمريكا بأسلحة لا قيمة لها، لكن هي مؤيدة من الله.

ثقافة المقاومة: لأننا لا ندري متى يكون دورنا.

ثقافة المقاومة: ينبغي أن تكون حاضرة لأننا لا ندري متى ستبدأ الملحمة، متى يهاجمنا العدو الصهيوني؟ متى تهاجمنا أمريكا؟

أتظنون أنكم بمنأى!

أنتم واهمون إن كنتم تظنون أنكم بمنأى، ليتكم تقرؤون أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، التي يتحدث فيها عن دخول الروم من منطقتين في سورية: منطقة مرج دابق، ومن منطقة الغاب، الأعماق: التي ينسب إليها البرغل العمقي الذي تأكلونه.

ذكرها رسول الله بالاسم، يدخل الروم من هذين المكانين إلى بلاد الشام.

إذاً: لا ندري متى، هل سنكون نحن أصحاب المقاومة أم الأجيال التي بعدنا؟

لكن أمام هذا الواقع لابد من هذين الأمرين، الإعداد المعنوي وثقافة المقاومة التي هي الاستعداد في كل وقت، لو لا سمح الله اقتحم عدونا الأوحد، الكيان الصهيوني ومن يخدمه، ومن يعزز جيوشه بالأسلحة..

لا ندري متى يأتي دورنا، فاستعدوا.

أما حرْق الأعلام والصياح فإنه لا يعدو أن يكون تنفيساً، نعم نُطالَب بالدعم المالي في هذا الوقت على المستوى الشعبي نحن مستعدون، هذا أقل ما يمكن أن يكون.

ردنا اللهم إلى دينك رداً جميلاً، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.